إبراهيم السامرائي وجهوده التربوية

أ. م. د. كريم علكَم الكعبي

جامعة ميسان / كلية التربية الأساسية

المقدمة

بزغ نور العلم في بلادنا على أيدي حامليه ، من الاختصاصات كافة – منذ منتصف القرن العشرين – الذين وضعوا لبنات علومهم ،وتجاربهم في أرض الرافدين ،لتكون صروحاً شامخة في زوايا شتى .وهم كثيرون في العلوم الإنسانية ،والتطبيقية .

ومن بين هؤلاء الرواد أ. د إبراهيم السامرائي (رحمه الله)،الذي رسم مستقبله ، بكفاح وجهد مضاعف . بدأه من مدينة العمارة الى بغداد والى السوريون ... ثم حضوره العلمي المتميز، في التدريس الجامعي ، والبحث والتأليف ، والترجمة ، والابداع . فترك تراثاً ثراً أغنى به المكتبة العربية ، في اللغة والتحقيق ، والابداع . فضلاً عن التربية والتعليم ، الميدان الرحب . عاش السامرائي ، معلما .مدرساً وأستاذاً جامعياً – إلى وفاته ،فلم يترك فرصة علمية ،دون أنْ يستغلها وكان موقفه منها متميزاً للحديث عن التربية والتعليم ، وكان ينبه على ما اكتنف هذا القطاع من سلبيات رغبة منه في الأحسن ،ودعا الى اتباع الأساليب الصحيحة ،والعلمّية لبلوغ الأهداف التربوية ، والناي بها عن الاعوجاج .

إن أراءه التربوية ملأت الصحف ،والمجلات، والمؤتمرات وكانت تدعو الى الإصلاح ، والتقويم . وأهلته لذلك خبرته التعليمية الناجحة . ومن خلال تلمذتي على يده في (البكلوريوس)عام ١٩٦٥م .في كلية الاداب – جامعة بغداد. كنت اصغي لتوجيهاته التربوية، وهي متعددة ، متنوعة ومقننعه ،وبعد وفاته ،فقدت الساحة العلمية عملاقها . حينئذٍ راودتني فكرة تدوين هذه الآراء ، والمقترحات . فعثرت عليها مبثوثة في المجلات التربوية وفي مؤلفاته اللغوية ، وغيرها .

وبتواضع جمعتها ، لتكون منهلاً لهذه البحث ، لأهميتها ، وقيمتها التربوية . وقد أثبتت التجارب التربوية اللاحقة ،جدواها وما زالت تحتفظ بفعاليتها ، وحوتها الى يومنا هذا.

وزعت مادة بحث (ابراهيم السامرائي ، وجهوده التربوية) على مبحثين : الأول لتسلبط الضوء على حياة السامرائي تحت عنوان (سيرة ذاتية)

أما المبحث الثاني فخصصته للحديث عن جهوده التربوية ، ومنها : تيسيرالنحو ، العامية والفصحى ، إعداد المعلم ، المنهج الدراسي ، الوسائل التعليمية ...

أسال الله التوفيق ، عليه توكلت واليه أنيب

المبحث الأول

السيرة الذاتية

أولاً :الولادة والنشأة .

شهد العراق منذ نهايات القرن التاسع عشر تدهوراً اقتصادياً. وعم الجوع ، وضاق الناس ذرعاً بمواطنهم. فكانت الهجرة نحو جنوب العراق ، وشهدت بغداد ، وبعقوبة ، والعمارة ، والبصرة أفواجاً من النازحين من تكريت ، وسامراء ، وعانة ، وراوة ، وهيت. وعلى الرغم من تأثيرات الهجرة في الناس لما لاقوه في الغربة. وصعوبة الحصول على العمل. إلا أنه أصبح بعض أبناء الأسر النازحة أعلاماً يفتخر بهم العراق ، ومنهم أستاذنا الدكتور إبراهيم السامرائي (رحمه الله) ، الذي نزح جَدُّه الى العمارة للعمل عام ١٨٧٠م مع أبناء عمومته (البو نيسان ، والبوعباس ، والبودراج ، والعشاعشة ، والبوباز) ونزلوا من على الكلك على مسناة العمارة قرب منطقة سكنهم (السراي الحالية) خلف مبنى محافظة ميسان ، فكثر عددهم حتى بلغ ٥٠٠ نسمة ، وسميت منطقة سكناهم (السوامرة)[١]. والرأي الآخر يقول : إن العثمانيين شجعوا الهجرة الى جنوب العراق ، لخلق توازنات بين المجتمعات ، ولأسباب معروفة[٢].

هو إبراهيم بن أحمد بن راشد من فخذ البو عباس الحسني السامرائي ، ولد في العمارة سنة ١٩٢٣ م في محلة السراي[٣].

---

[١] – عن مقابلة مع السيد مصطفى السامرائي عميد اسرة السوامرة في العمارة بتأريخ ٢٠١٠/١/١٥ .

[٢] – م . ن .

[٣] – م . ن .

وتحدث – رحمه الله – عن أسرته فقال : جاءت أسرتنا وأولهم جدي ، مع الوافدين السامرائيين الى العمارة. فمنهم من أشتغل بعمارة الدور ، ومنهم من ذهب الى الأرض فغرس الشجر في بساتين لم تكن مدينة العمارة تعرفها ، وآخرون وجدوا في المهن الأخرى من بيع ، وشراء وسيلة رزقهم ، وعلى هذا لم يكونوا أصحاب ثروة كبيرة بل كانوا من وجوه البلد الذي وجد فيهم أهل العمارة ذوي أصول عربية فركنوا إليهم ، وعقدوا معهم صلات فيها مودة ورحمة[١] .

نشأ في بيت كثرت فيه المشكلات ، وتعاورت الهموم عليه وهو صغير حدث. إذ مات أبواه الواحد بعد الآخر ، لما لقياه من شقاء ، وخطوب وأمراض.

لقد ذهبت أمه ، وهي تصارع السل ، ثم فُجع بأبية الذي حُمل الى البصرة كسير الساق فتوفي غريباً ، ودفن هناك ، وعُوض عنهما بخالته التي حدبت عليه ، وعلى أخوته الصغار ، ولا سيما شقيقته التي أصيبت بالسل.

دخل (الكتّاب) عام ١٩٢٧ وختم قراءة كتاب الله وبعد سنين سجله أخوه الكبير معلم اللغة العربية ياسين في مدرسة دجلة الابتدائية في مدينة العمارة قرب سكناه له أخوان آخران هما إسماعيل معلم اللغة العربية ، وصالح خياط[٢].

أنهى المرحلة الابتدائية عام ١٩٣٦م ثم المتوسطة في العمارة. وانتقل الى بغداد في الثانوية ولكنه لم يكملها ، إذ توجه بعد السنة الرابعة الى دار المعلمين الابتدائية في الأعظمية ، ودخلها طالباً في السنة الثانية لاحتساب السنة الرابعة في الثانوية ، وأدى ، وهو في الدار الامتحان الوزاري ، وحصل على الشهادة الثانوية – الفرع العلمي – بتفوق سنة ١٩٤١م[٣].

ولولا الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩م لكان نصيبه الانضمام إلى البعثة العلمية. وكان قد قبل في المدرسة العسكرية قبل أن تتحول إلى كلية. وكان معه ناجي طالب الذي أصبح وزيراً بعد عام ١٩٥٨م ، ورئيساً لمجلس الوزراء سنة ١٩٦٦م ، وعبد السلام محمد عارف ، الذي أصبح رئيساً

---

[١] – حديث السنين ، د . إبراهيم السامرائي : ٩ .

[٢] – حديث السنين ، مرجع سابق : ٢٨ .

[٣] – عن المقابلة السابقة مع عميد أسرة السوامرة في العمارة .

للجمهورية العراقية سنة ١٩٦٣م. غير أنه تركها بعد شهر من قبوله مفضلاً مهنة التعليم ، وقال : والله لقد رضيت أنا بحرفة التعليم ، وكان لي بها علاقة حب أكيد[١].

تخرج في دار المعلمين الابتدائية ، وكان الأول على دفعته عام ١٩٤٢م ، وأختبر معلماً في مدرسة تطبيقات الدار النموذجية. وكان وحيداً فسكن في القسم الداخلي مراقباً لطلبة الدار.

وكلف بتدريس اللغة العربية ، وإعداد دروس نموذجية لطلبة الدار. ثم تحول في السنة الثانية إلى تدريس اللغة الانكليزية ، وحينئذ بدأت لديه مرحلة مهنة التعليم ، ورفدها بتزوده بالعلم ، ودأب لتحقيق هذه الغاية عندما استغل العطل للاعتكاف عند الشيوخ في المساجد ، فتزود بعلم الحساب ، والهندسة ، والنحو والأدب وبخاصة روايات نجيب محفوظ ، وجرجي زيدان ، والرافعي ، ومطران ، فاكتسب من الثقافتين القديمة ، والحديثة.

وعندما نقل معلماً إلى مدرسة في طرف جنوبي بغداد فكر ، وهو قادر على إكمال تعليمه ، وكان مرتبه عشرة دنانير فالتحق بدار المعلمين العالية. قسم اللغة العربية ، وتخرج فيها سنة ١٩٤٦م وجاء ترتيبه الأول على دفعته ، وفضل الالتحاق بدار المعلمين العالية ليتزود بالعلم ، وينعم بما تقدمه الدار من سكن ، ومأكل ، وملبس ، وهو الوحيد في بغداد عندما غادر العمارة بعد إكمال دراسته المتوسطة.

وكان من أساتذته في دار المعلمين العالية : محمد فاضل الجمالي ، وكامل النحاس ، وطه الراوي ، ومحمود غناوي ، ومحمد مهدي البصير ، وعبد العزيز الدوري ، ومصطفى جواد[٢].

ومن زملائه : علي الزبيدي ، وعلي جواد الطاهر ، وصلاح خالص ، وفيصل الوائلي ، وعبد الكريم خليفة ، وسليمان العيسى ، وصبحي البصام.

وبعد تخرجه في دار المعلمين العالية ، عُين مدرساً في (كلية الملك فيصل) وهي ثانوية نموذجية مديرها انكليزي والدراسة فيها باللغة الانكليزية ما عدا اللغة العربية والتاريخ الإسلامي ، ثم نقل مدرساً في دار المعلمين الريفية في المحاويل. ففكر بالالتحاق بالبعثة العلمية ، وبعد قصة طريفة ، قُبل في البعثة العلمية إلى فرنسا[٣].

---

[١] – ينظر غربة الروح ، د . احمد مطلوب : ١١ .

[٢] – ينظر غربة الروح ، مرجع سابق : ١١ .

[٣] – م.ن : ١٠ .

ثانياً : الرحلة الى فرنسا للدراسة .

ودّع بغداد بقصيدة (لو كنت تعلم) ثم وصل إلى بيروت صيف ١٩٤٨م مصطحباً خالته ، وشقيقته ، التي شاركت أمها في مرض السل ، فادخلها في مصح (هملين) في (حمّانه) وكانت خالته تراجعها. وغادرهما متوجهاً إلى باريس بالباخرة ، وكان يرسل إلى خالته النقود لتكمل علاج شقيقته عن طريق أحد أقاربه ، الذي كان يدرس الطب في جامعة دمشق ، ويزور المريضة بين حين وآخر.

وكان معه في البعثة علي الزبيدي ، وعلي جواد الطاهر ، وصلاح خالص (رحمهم الله) تعلم الفرنسية في معهد (الالياس الفرنسية) ونال شهادته[١].

كان زملاؤه الثلاثة قد استقروا على دراسة الأدب العربي أما هو ، فقد وجهه الدكتور متي عقراوي إلى دراسة اللغات السامية ، وهو تخصص نادر لا يطيق أعباءه ، والتفوق فيه إلا أولو العزم من أمثال استأذنا السامرائي ، وكان عليه في الوقت نفسه – أن ينتسب إلى (المعهد الكاثوليكي) في باريس والى (معهد متحف اللوفر) لدراسة اللغات العبرية ، والآرامية ، والحبشية ، والبابلية ، والآشورية ، والسبئية مع متابعة المحاضرات المتعلقة باللغات السامية في المدرسة العليا للدراسات في مبنى السوربون. وأفاد كذلك من الألواح ، والنقوش الأثرية للغات قديمة كالبابلية والآشورية و السبئية في معهد اللوفر. وأفاد من الدراسات المتوافرة بمكتبه المعهد ، التي أنجزت عن هذه اللغات لفهم أبجديتها ، ونحوها ، وصرفها ، واقتضى الأمر منه الإلمام بشيء من اللغة الألمانية ليستعين به للوصول إلى الكلمات البابلية القديمة[٢].

أجهد السامرائي نفسه في استغلال أوقات سنوات بعثته في فرنسا متنقلاً بين كليات باريس ، ومعاهدها ، وكلياتها ، التي تزخر بالكتب النادرة للتزود بالحصيلة العلمية ، والثقافية التي تهيؤه لإجادة درس اللغات السامية ، وللتعرف على كبار المستشرقين ، وحضور محاضراتهم العامة سواء ما كان منها عن اللغات السامية أو عن الحضارة العربية ، والإسلامية. فتابع (دروم) في المدرسة العليا للدراسات في العبرية ، والحبشية ، ومحاضرات (ديونت سومر) في اللغة الآرامية ومحاضرات (بلاشير) في الأدب العربي يلقيها الأساتذة لطلبة المرحلة الجامعية الأولى في السوربون ، ومحاضرات (بروفنسال) في الحضارة الإسلامية في الأندلس ، ومحاضرات (شارل بلا) في الجاحظ ، والبيئة البصرية.

وعرف في مدرسة اللغات الشرقية (وليم مارسيه) و (جان كانتو) وعرف في كلية فرنسية (ماسينون) و (كاستون فت).

---

[١] – م.ن:١٣ .

[٢] – ينظر حديث السنين ، مرجع سابق : ٣٠ .

سافر سنة ١٩٥٣م إلى لندن وأمضى فيها شهراً كاملاً للتزود بالمصادر المتعلقة بموضوع درسه المتوافرة في المتحف البريطاني ، ومدرسة اللغات الشرقية في جامعة لندن ، وكذلك المكتبات المتخصصة ببيع الكتب الشرقية ، والدراسات العربية ، والإسلامية ، ومقابلة المستشرقين الانكليز.

كان يقتضي ، أو يتطلب حصول الباحث على درجة (دكتوراه الدولة) في جامعة السوربون إعداد رسالتين علميتين يكون له فيهما جدة وأصاله ، وزيادة معرفة تسمى الرسالة الأولى : الرسالة الكبرى أو الرئيسية. والثانية : الرسالة الثانوية أو التكميلية. وكانت رسالة السامرائي الرئيسية في لغة القرآن الكريم ، وعنوانها (الجموع في القرآن مقارنة بصيغ الجموع في اللغات السامية) أما الرسالة الثانية ، أو الرسالة التكميلية فهي تحقيق كتاب (المثل السائر) لضياء الدين ابن الأثير.

ونوقشت رسالته في أول شهر آذار ١٩٥٦م.

تشكلت لجنة المناقشة من كبار المستشرقين ، وهم : الستاذ بروفسنال عميد المعهد الإسلامي رئيساً ، وعضوية الأساتذة : بلاشير وكانتو ، وشارل بلا ، ولا ووست. وبعد مناقشة عسيرة امتدت سبع ساعات ، أجيزت رسالته ، ومنح درجة (دكتوراه الدولة) بمرتبة الشرف الأولى[١].

عاش في باريس سبع سنوات ، وله علاقات ، وثقى ببعض العرب مثل : صبحي الصالح ، حسن ظاظا ، احمد السعيد سليمان ، مصطفى الشويمي ، محمد احمد باجي ، الجيلاني عبد القادر.

ثالثاً : العودة إلى العراق .

عاد السامرائي بعدها إلى بغداد ، ليستقر بعد رحلة معاناة طويلة من الكد ، والاغتراب في سبيل التحصيل العلمي ، ليبدأ مسيرة مرحلة جديدة هي مرحلة البذل ، والعطاء العلمي في البحث ، والتدريس ، والتأليف... الخ[٢].

وفي ٢٣/آذار/ ١٩٥٦ التحق بقسم اللغة العربية في كلية الآداب ، والعلوم نواة جامعة بغداد ، مدرساً لنحو اللغة العربية ، وفقهها ، ومدرساً للغات السامية (العبرية ، والسريانية).

---

[١] – غربة الروح ، مرجع سابق :١٩ .

[٢] – م.ن : ٢١ .

وفي ٩ / نيسان / ١٩٥٦م اقترن برفيقة عمره (فوزية) التي وجد في ظلها الدفء ، والاستقرار النفسي ، والعاطفي ، ورزقا بأريج ، وعلي.

عين عام ١٩٥٩م بعد ثورة تموز ١٩٥٨م مديراً للنشر ، والترجمة في وزارة الثقافة ، ولنفوره الشديد من تولي المناصب فقد طالب بإعفائه ، وإعادته إلى التدريس في كلية الآداب ، وبعد شهر كان له ما أراد.

وفي عام ١٩٦٠م سافر إلى الجامعة التونسية استاذاً لمدة شهر واحد.

وبين الأعوام من ١٩٦٥م- ١٩٧٥م ألقى محاضرات في جامعات بيروت ، وعمّان ، وبنغازي ، والجزائر ، والرباط. وانتدب أستاذاً عام ١٩٧٢م في جامعة الكويت.

منح لقب أستاذ مساعد في ١٩٦٠/٦/١م ثم منح لقب أستاذ في ١٩٦٥/٢١/١م.

رابعاً : مغادرة العراق حتى وفاته .

في مطلع سنة ١٩٨١م لم يحتمل الوضع الإداري وتصرفات عميد كلية الآداب آنذاك ، فأحال نفسه على التقاعد ، وهكذا انتهت علاقته بكلية الآداب ، ولزم البيت ، ولكن أنى له أن يظل بعيداً عن التدريس الذي مارسه سنوات؟ فقرر الرحيل ، والاغتراب[١].

فدّرس في الجامعة الأردنية من عام ١٩٨٢م –١٩٨٧م ثم تحول إلى جامعة صنعاء من عام ١٩٨٧م . ١٩٩٦م ثم عاد إلى عمّان. ليستقر فيها ، وليؤلف ، وينظم الشعر ، وينشر الكتب ، واشترى له شقة فيها.

وكان يتوقع انه سيموت سنة ٢٠٠١م فنظم في شباط من السنة نفسها قصيدة (في توقع الرحيل) جاء فيها :

إنـــي وقـــد طـــال البعـــادُ أرى ... شـــبحَ الرحيـــل ولـــيس مـــن صـــفدِ
مـــاذا ســـأتركُ بعـــد مُرتحلـــي ... ممـــا شـــغفتُ بـــه الـــى ولـــدي
غيـــر التـــي عاشـــرتُ مـــن كتـــبٍ ... وبهِـــنّ مـــا قـــد كـــان مـــن عَـــددي

[١] – غربة الروح ، مرجع سابق : ٣٠ .

ورحل عن العالم بين زوجته ، وابنه علي بعد أن عاد من اجتماعات مجمع اللغة العربية في القاهرة في شهر آذار سنة ٢٠٠١م.

وفي مساء الأربعاء الخامس والعشرين من نيسان ٢٠٠١م مات أستاذنا (رحمه الله) ولم تَسِرْ خلف نعشه إلا قلائل. لأنه كما كان يردد – غريب. ودفن في عمّان.

الحديث عن الدكتور إبراهيم السامرائي لا يفي بما تستحقه مكانته ليس على مستوى العراق والأمة العربية والإسلامية ، بل حتى على المستوى العالمي.

كان رحمه الله عالماً جليلاً ، بدأ مسيرته العلمية منذ عهد مبكر من حياته.

عشق الكتاب ، وشغف بالبحث والتأليف. وكانت الكتابة أسمى ما يسعى إليه. وقد جال في ساحة الحرف أكثر من نصف قرن ، وألف أربعة ، وخمسين كتاباً مطبوعاً ، وحقق ثلاثين كتاباً ، وترجم أربعة كتب عن الفرنسية ، والانكليزية. وله خمسة عشر كتاباً مخطوطاً.

كتب سيرته الذاتية في صنعاء سنة ١٩٩٥م في (من حديث السنين) طبعه في حياته في عمان سنة ١٩٩٨م ، وفي (فوات ما فات من حديث السنين) طبع في عمان سنة ٢٠٠٢م.

كان شاعراً منذ صباه. وله ديوانان الأول (حنين إلى الكلم الضائع) طبع بإشرافه في عمان سنة ١٩٩٩م في ٧٨٨ صفحة من القطع الكبير ، والثاني (ملحمة الرحيل) طبع في عمان سنة ٢٠٠٢م وفي ٣٩٢ صفحة من القط الكبير.

توزعت موضوعاتهما بين الشكوى ، وهجر الأصدقاء ، والتغني بالعربية ، وعلاقته بالكتاب ، وصحبته ، والغربة ، والرثاء ، والعقاب ،والأخوانيات ، والغزل.

في سيرته الذاتية ثغرات ما زالت غامضة ، وتحتاج إلى متابعة.

كان نحوياً ، ولغوياً ، ومحققاً ، وشاعراً[١].

ترك مكتبه في بغداد. وقد أهدتها أسرته إلى جامعة بغداد سنة ٢٠٠٢م.

---

[١] – ينظر ابراهيم السامرائي وجهوده في اللغة والتحقيق ، علي حسن عبد الحسين ، رسالة ماجستير مخطوطة ، جامعة القادسية .

فرض الأستاذ السامرائي نفسه على المجامع اللغوية بما أسداه للغة العربية ، واللغات السامية من خدمات جليلة بأبحاثه ، ومصنفاته العلمية الرصينة فسعت إليه المجاميع اللغوية داخل الوطن العربي ، وخارجه لضمّه لعضويتها ، ومن أهمها :

- مجمع اللغة العربية في القاهرة.
- مجمع اللغة العربية في دمشق.
- مجمع اللغة العربية الأردني.
- لجنة المجمعية التونسية.
- المجمع العلمي الهندي.
- الجمعية اللغوية الفرنسية.

وللأستاذ السامرائي مشاركات واسعة في معظم الندوات ، والمؤتمرات العلمية ذات الصلة باللغة العربية.

وأشرف على عشرات الرسائل العلمية (ماجستير ، دكتوراه) في اللغة ، والنحو ، والأدب.

ترأس لجاناً تربوية ، وحاضر في دورات تدريب مدرسي اللغة العربية في بغداد ، وأوصل من خلالها تجاربه ، وخبراته التعليمية.

ما زال تراث أستاذنا السامرائي ، ميداناً لدراسات أكاديمية في مجال النحو ، واللغة ، والتحقيق ، والإبداع.

المبحث الثاني

جهوده التربوية

بناءً على ما سبق ذكره من مسيرته العلمية. منذ تعيينه معلماً في الابتدائية إلى وفاته أستاذاً في الجامعة. اكتسب خلالها خبرات تربوية تعليمية. بثها في مؤلفاته ، ودراساته ، وبحوثه ، ومقالاته. يوم بدأ نشرها في مجلة المعلم الجديد. ومنذ عام ١٩٥٧م حتى عام ١٩٨٠م. كتب ما يقارب خمسة ، وعشرين بحثاً. فضلاً عما كتبه في مجلة المورد ، ومجلة دراسات للأجيال ، التي أصدرتها نقابة المعلمين – المركز العام. وما جاء منها في مؤلفاته.

وبتواضع أمام هذا العالم الكبير ، ندون أهم ما وقعنا عليه من آراء ، وتوجيهات ، ومقترحات في التربية ، والتعليم. وتوزعت على المحاور الآتية :

١. تيسير المادة النحوية.
٢. العامية ، والفصيحة.
٣. المناهج الدراسية.
٤. الوسائل التعليمية.
٥. إعداد المعلم ، وتهيئته لمهنته.

أولاً : تيسير المادة النحوية

تناول الوضعيون في العصر الحديث عيوب المنهج النحوي القديم بالنقد والتجريح ، وكان لهذا النقد مبرر في نظرهم ، ودعواهم كانت متمثلة بصعوبة النحو العربي ، وعدم قدرته على مواكبة الحياة في العصر الحديث ، لأنه يفتقد أسس المعاصرة ، فهو نتاج صنعته عقلية العربي قديماً لا يمكن أن يلبي شروط الحياة المعاصرة ، فلا بد من تيسيره ، ومن هنا بدأت دعوة ابن مضاء القرطبي ، وإبراهيم مصطفى ، ومهدي المخزومي ، وغيرهم في إعادة بناء صرح النحو العربي.

وقد ذهب الأستاذ (إبراهيم مصطفى) إلى أن النحو العربي ، صعب ، شاق ، ويؤكد بأن مناهجه قد اضطربت ، وبات من الصعوبة فهم قواعده ، فلا بد من تغييرها ، وذلك بتيسيره لكي تسهل عملية تعليمه ، فإحياء النحو لا يتم إلا تنقيته من شوائب الفلسفة ، والمنطق ، بل يتم باختيار منهج لغوي يرفع عن المتعلمين صعوبات النحو ويسهل أصوله ، ويقرب المتعلم من العربية ، ويهديه إلى فهم أساليبها[١].

ولا يختلف الدكتور (احمد عبد الستار الجواري) عن الأستاذ (إبراهيم مصطفى) ، فقد تأثر بآرائه مركزاً على صعوبة النحو العربي وجموده ، فـ(مازال نحو العربية عند أهلها عسيراً غير يسير ، وعراً غير ممهد ، منحرفاً إلى غير قصده ، ولا يخلو من التعقيد ، ولا يسلم من انحراف [٢] ، وهذا واضح ، لأن الميسرين يجمعون على صعوبة النحو العربي ، ووعورته ، فالنحو في نظر (الجواري) مثار الشكوى من

(١) ينظر : إحياء النحو : إبراهيم مصطفى : الصفحات : أ ، ب ، ج.

(٢) نحو التيسير دراسة ونقد منهجي : د. عبد الستار الجواري : ٩.

المتعلمين والمعلمين ، فضلاً عن سعة مادته ، وتشعبها ، وعدم قدرة الدارس على الإحاطة بها ، واختلط ((الأمر واضطرب ، وصار النحو مشكلة من مشكلات التعليم في أغلب بلادنا العربية)) (١).

إن تيسير النحويات من الأمور المهمة التي فرضتها متطلبات العصر ، فالدارسون له يلمسون شيئاً من العُسر ، ولا يستطيعون أن يتذوقوا بأفكارهم مادته ؛ لأنه مازال معقداً لا يسلم من الإنحراف ، فقد تأثر بواقع عصره ، فهو لم يكن بعيداً عن المذاهب الفلسفية المنطقية ، بسبب تلاقح الثقافات بين العرب والأمم الأخرى ، فلابد من أن يكون لها تأثير في فكر العلماء وثقافاتهم.

لقد أولى الدارسون – قديماً وحديثاً – النحو العربي عناية فائقة ، فمنذ كتاب سيبويه (ت١٨٠هـ) والجهود تتواصل في هذا العلم ، حتى وقتنا الحاضر ، مما أدى إلى تجاوز النحو الحد المعقول ، وخرجت دراسته عن الهدف التعليمي الذي وجدت من أجله ، وبذلك تعقدت مسائله ؛ لذلك تنبه بعض القدماء من النحاة إلى ضرورة التيسير على المتعلمين ، ((فقد دأبوا منذ القرن الثاني الهجري إلى العصر الحديث يضعون للنحو مختصرات ومتوناً موجزة يستخلصون فيها من مطولات قواعده الأساسية ، ويضعونها – أو قل يقطّرونها– في صيغ مجملة أشبه ما تكون بقوانين مركزة ، كي تستظهرها الناشئة وتدرسها دراسة تتيح لها استيعاب أوضاع العربية ومقومات صياغتها وتمثلها تمثلاً بيناً)) (٢).

لقد شعر النحاة أنفسهم بتعقيد النحو العربي وصعوبته ، فأبو علي الفارسي (ت٣٧٧هـ) يعد نحو الرُّماني غريباً صعباً لا يناله أحد ، إذ قال : ((إن كان النحو ما يقوله الرُّماني فليس معنا منه شيء ، وان كان ما نقوله نحن فليس معه منه شيء)) (٣).

وقد مزج النحو بالمنطق ، فهو منطقي مفرق فيه ، ونحوه ابن بيئته وعصره المنطقي ، وطبيعته وعقيدته العقلية (٤).

فهذه المسائل تشعرنا بصعوبة الدرس النحوي العربي ، وتبعد الدارسين عن فهمه ، وقد أحس العلماء القدماء والمحدثين بهذه الصعوبة ، فألفت كتب في ميدان التيسير لتخفيف العبء عنهم.

---

(١) م. ن : ٩.

(٢) تيسير النحو التعليمي قديماً وحديثاً مع نهج تجديده :١٧.

(٣) نزهة الالباء في طبقات الأدباء ، لأبي البركات الأنباري ، تحقيق : الدكتور إبراهيم السامرائي : ٢١٨ ، ومعجم الأدباء : ياقوت الحموي : ١٤ ، ٧٤ ، ٧٥.

ويعدُّ الدكتور إبراهيم السامرائي من رواد الدعوة إلى تيسير النحو العربي ، وأفصح عن موقفه في مؤلفاته وبحوثه ومقالاته.

دعا استأذنا السامرائي إلى تيسير مادة النحو للمتعلمين وتقريبها إليهم. وكان مؤلفه (النحو الإعدادي) إلى جانب لبيبه القيسي ، واستأذنا يحيى الثعالبي مثالاً على رغبته في التيسير ، فضلاً عن كتابه (النحو العربي نقد وبناء) الذي لملم فيه شتات ما كتب عن النحو العربي.

في أكثر من مناسبة كان يشير إلى رأيه في تيسير الدراسات النحوية ، واللغوية ، وما جاء منها في المتون ، وشروحها.

فيرى : أنها بعيدة كل البعد عن المنهج السليم في تحرير النحو في عصرنا.(٢)

وعندما يتحدث عن أهمية استعمال العربية الفصيحة يرى أن ذلك (يتطلب منا أن نعمل على تيسير النحو بما يكفل هذه الغاية).(٣)

وهو يقرُّ بأن الشكوى لما كثرت عن صعوبة النحو ((ظهرت للناس محاولات للتيسير في كل مكان ، ولكن جلَّ هذه لم تأت بطائل).(٤)

---

(١) ينظر : الرماني النحوي في ضوء شرح كتاب سيبويه ، الدكتور مازن المبارك : ٢٢٨ ، ٢٢٩.

(٢) ينظر : النحو العربي نقد وبناء ، إبراهيم السامرائي: ٢٧ .

(٣) اللغة ومناهج الدرس، إبراهيم السامرائي، مجلة المعلم الجديد ج ١ ، م٢٤ ، س١٩٦١ : ٥ .

(٤) سلامة اللغة العربية ، إبراهيم السامرائي ، مجلة المعلم الجديد ج٢ ، م٣٩ ، س١٩٧٨ : ١٧ .

ويرى أن الغرض من النحو كان تعليمياً إلا انه لم يبق كذلك : (إذ صار مادة للدرس والاجتهاد ، وصار له أصحابه ممن عُرفوا بالنحاة... ولقد أدّى هذا إلى أن أصبح النحو مادة معقدة عسيرة المنال تبعد عن تناول المشكلة اللغوية ذلك أنها اقتبست من المنطق الأرسطي ، وأساليبه ما أحال المادة اللغوية إلى شيء آخر).

ونتيجة هذا التعقيد في المادة النحوية ، دعا الدكتور السامرائي إلى ضرورة الأخذ بمنهج جديد يعتمد مناهج الدرس الحديث ، وفي هذا قال : إننا مضطرون إلى الأخذ بمنهج جديد في فهم المادة النحوية جرياً على ما يقتضيه العلم اللغوي الحديث من إدراك مسائل اللغة والنحو.

والمنهج الجديد ، الذي قصده السامرائي هو المنهج الوصفي إذ قال : (إن العلم اللغوي الحديث يقتضينا وصف الظواهر اللغوية ، والنحوية ، وهذا المنهج يفرض علينا طرح مناهج البحث القديمة ،

وبذلك يتم لنا ما نرومه من التيسير الذي أمسى ضرورة لتعليم لغتنا إلى أحداثنا الذين يعانون مما هم فيه من مصاعب في فهم العربية لغة ونحواً).

وقد ذكر – رحمه الله – المواد ، التي يجب أن يتزود بها طالب النحو في عصرنا ، وهي على قسمين : الأول : لغوي ، ويشمل :

١. معرفة الأصوات العربية ، وكل ما يتعلق بها.
٢. الكلمة العربية ، وبناؤها.
٣. دراسة الأسماء بأنواعها.

الثاني : نحوي ، ويشمل :

١. الجملة العربية ، الفعلية والاسمية.
٢. الفعل أبنيته ، وزمانه.
٣. الإعراب بأنواعه.
٤. المرفوعات.
٥. المنصوبات.
٦. الجزم ، وأدواته.
٧. الجر.
٨. التوابع.

لا بد لنا أن نقول : إن الدكتور السامرائي على الرغم من دعواته إلى التجديد ، والتيسير ، إلا انه لم يُعد ثائراً على القديم ، وهو لم يساير المجددين بكل ما جاءوا به. ويمكن تلخيص جهوده في هذا الجانب بالاتي : موقفه من فكرة العامل ، وموقفه من التأليف النحوي ، وإنكار بعض الشواهد... الخ.

ثانياً : سلامة اللغة العربية

عندما صدر القانون ٦٤ لسنة ١٩٧٧ للحفاظ على سلامة اللغة العربية. وقف إلى جانبه ودعا الجهات الرسمية ، وغيرها إلى الحفاظ على سلامة العربية فرأى : (أن تكون العربية الفصيحة مادة معاملاتها ، وشؤونها). (٢)

كما أنه رأى : (من الطبيعي أن تكون الجهات المعنية من مسؤولين في وزارة التربية ، ومشرفين ، ومدرسين ، ومعلمين أول من يتوجه إليهم بالملل على تطبيق القانون). (٣)

واستدرك مستفهماً : هل تُرى أن " السلامة " المطلوبة لهذه العربية الفصيحة يضبطها قانون يُشرّع ، وتعليمات تُلزم القوم برأب الصدع ، وإصلاح فاسد مستشر؟

(١) ينظر : مشكلات لغوية في إعداد البرنامج الإذاعي وتنفيذه ، محمود الجادر ، مجلة الضاد ، ج٤ ، تموز ١٩٩٠ : ٤٩.

(٢) سلامة اللغة العربية، إبراهيم السامرائي، ج٢ ، م٣٩ ، س١٩٧٨ : ١٨ .

(٣) م . ن

إن الوصول بالمجتمع إلى مستوى فيه شيء من (سلامة) العربية ينبغي : إعداد المدرس إعداداً حسناً. ٢- هيأنا المعلم تهيئة تتفق وفنون التربية الحديثة. ويتساءل بثقة بأن لا شيء قد تحقق فيقول : (هل ترانا وصلنا إلى شيء من ذلك)؟ (١)

إن الانغلاق ، والتقوقع يرفضه السامرائي ، وهو الخبير بما وصل إليه العالم ، ودول أخرى ، فيدعو إلى الاستفادة منهم لتطوير ما لدينا فيقول : (أنا لا أشك ؛ أن جمهرة العاملين في

العلوم التربوية تعمل على أن ندرك الأحسن ، والأفضل ، وان نفيد من تجارب من سبقونا في الكشف عن الطرائق التربوية الفنية الصحيحة).(٢)

وهو بهذا يربط تعلم اللغات بالحديث عن الطرائق ، والتقنيات التربوية ، وبخاصة مختبرات الصوت ، والوسائل التعليمية ، ويصر على الفائدة من منجزات العلم الحديث في (تعلُّم) اللغة. وما أكثرها ! بعد أن وقف على عقم الاجترار لطرائق عفا عليها الزمن. (٣)

من خلال تجربته العملية والميدانية في مهنة التعليم ، دعا الدكتور السامرائي إلى (إن العربية غريبة على المدرس ، والمعلم فهو لم يتعلمها (تعلماً) صحيحاً. وكشف عن وجهة نظره ، ودعوته إلى تبنيها إذ قال : إننا مازلنا ندّرس النحو على أنه مادة منقطعة عن شعب العربية الأخرى. وما زلنا نجهل قواعد الأداء جهلاً تاماً فلا نحسن التوجه إلى الآخرين ، مستفهمين ، ومتعجبين ، ومستنكرين ، واستمر في تعداد مظاهر الضعف اللغوي فقال : ما زلنا نجهل إخراج الكلم الفصيح مُخرجاً سرياً. وما زلنا لا نعرف أصوات العربية معرفة ، نفرق فيها بين هذا ، وذاك ، وما زال شيء كثير من مادة اللغة لا نفهمه). (٤)

١) سلامة اللغة العربية ، إبراهيم السامرائي، ج٢ ، م٣٩ ، س٧٨ : ١٨ .
٢) م . ن .
٣) ينظر اللغة ومناهج الدرس، إبراهيم السامرائي ، مجلة المعلم الجديد ج١ ، م٢٤ ، س ١٩٦١ : ٣
٤) سلامة اللغة العربية ، إبراهيم السامرائي ، مجلة المعلم الجديد ، ج٢ ، م٣٩ ، س١٩٧٨ : ١٩ .

ثالثاً : العامية ، والفصحى

كان لصدور القانون ٦٤ لسنة ١٩٧٧م أهمية بالغة للحفاظ على سلامة اللغة العربية ما إصابها من الانحراف عن قواعدها الأساسية. وكان أمام المعنيين بهذا التوجه من التربويين أن يسهموا للتخلص من العامية ، والعمل على تكريس الفصحى.

بدأ اللحن يظهر في كلام الموالي ، والمتعربين منذ عهد النبي (ص) ، الذي قال عندما لحن في حضرته : (ارشدوا أخاكم فقد ضل) وقال (ص) : (أنا من قريش ، ونشأت في بني سعد ، فأنى لي اللحن). وذكر الفرّاء في كتابه معاني القرآن أن أول لحن سُمع بالعراق (هذه عصاتي) بدلاً من (هذه عصاي)[١].

أخذ الانحراف يجري على السنة بعض الناس ، فقد أسف عبد الملك بن مروان على ظهور اللحن على لسان ابنه الوليد.

(١) ينظر : نحو لغة عربية سليمة ، وزارة الثقافة والفنون ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٨ : ٢٩.

وقال عمر بن عبد العزيز : إن الرجل ليكلمني في الحاجة يستوجبها ، فيلحن فأردُّه عنها. وكأني اقضم حبَّ الرمان الحامض لبغضي استماع اللحن.

وقال : أكاد أضرس إذا سمعت اللحن(١).

وجاء العصر العباسي فشهد حركة لغوية كبيرة ، اهتمت بجمع ما شاع على السنة الناس من كلام ، يخالف سنن الكلام العربي الفصيح.

ونشط لون من التأليف يمثلُ اتجاهاً قوياً للمحافظة على سلامة اللغة العربية ، وأطلق على هذا اللون من التأليف اسم (لحن العامة) فضلاً عن أسماء أخرى لهذا النوع من التأليف وهي :

إصلاح المنطق ، وتثقيف اللسان ، وتقويم اللسان ، وتصحيح التصحيف ، وتحرير التعريف ، والجمانة في إزالة الرطنة ، والتنبيه على غلط الجاهل... الخ (٢).

وكانت تهدف إلى تنقية اللغة والتوجيه إلى فصيح الكلام ، ومقاومة اللهجات العامية ، فهي إذن تعطينا صورة المجتمع العربي في هذه العصور ، فاللغة مرآة تنعكس فيها صورة الشعب ، وعاداته ، وتقاليده ، وأساليب حياته.

لقد ارتبطت مشكلة الفصحى ، والعامية بالوجود الاستعماري في وطننا العربي على الرغم من أنها في أصلها ظاهرة طبيعية في حياتنا اللغوية ، ولكن الاستعمار استعمل هذه الظاهرة ليحارب الفصحى بلهجاتها المتعددة ، ووجد في اختلاف اللهجات الإقليمية ، ذريعة للقضاء على اللغة المشتركة بعد أن انحدرت اللغة العربية إلى غاية الضعف أبان الحكم العثماني الذي فرض التركية لغة رسمية للدواوين ، والتعليم ، وقد سارت خطة العداء للفصحى في اتجاهين :

الأول : بدأت حملات مسعورة تكشف من ناحية عن جمود الفصحى وصعوبتها ، وبداوتها ، وتخلفها عن حاجة العصر.

ثانياً : بدأت حملات تدعو للعامية ، وتضفي عليها مزايا من الفصاحة ، والسهولة ، والمرونة ، والقدرة على التعبير عن مطالب الحياة العصرية. وترى فيها الوسيلة لتثقيف الشعب وتعليم الأميين.

---

(١) ينظر : تاريخ الأدب العربي ، العصر الإسلامي ، شوقي ضيف : ٥٧.

(٢) ينظر : نحو لغة عربية سليمة ، مرجع سابق : ٣٢.

وكان الاستعمار ينبغي إحلال لغاته محلَّ العربية ، فان تعذر هذا فلتكن اللهجات العامية هي السلاح الذي يقضي على لغتنا المشتركة.

وهناك أسباب أخرى كثيرة ساعدت على انتشار العامية ، منها : الإذاعة والتلفزيون ومنها التدريس في المدارس الابتدائية ، والثانوية ، والجامعية ، وفي أقسام اللغة العربية بالذات – باللغة العامية – فكيف تسود الفصحى إذا كان أصحاب التخصص بها قد أعرضوا عنها ؟ [١].

وإزاء هذا الوضع المزري ، الذي أحاط اللغة الفصحى ، شنَّ رواد اللغة في بلادنا منذ مطلع القرن العشرين حملات منظمة ، لمحاربة مظاهر العامية المطوقة لكل المتعلمين ، ومن هؤلاء كان الأستاذ الدكتور إبراهيم السامرائي ، الذي لم يتردد في المحافل كافة ، إلا وتصدى للعامية وبرّز الفصحى فقال :

وخلال مسيرته العلمية. تصدى السامرائي في مؤلفاته ، وبحوثه ، ومقالاته للعامية ، ولعل موضوع الفصيحة ، والعامية من أبرز المسائل ، التي سر بها المستشرقون ، والمستغربون شرقاً ، وغرباً ، وهكذا من تبعهم من دعاة التنصل عن كل ما هو أصيل ممن ينتسبون إلى أمة العرب.

وكان الدكتور إبراهيم السامرائي ممن يعتزون بلغتهم الفصحى ، ويذود عنها ، ولا يرى للعامية مكاناً تزاحم فيه الفصحى. وصرّح بذلك قائلاً : ومن الخطأ أن نعقد مقابلة بين الفصحى ، والعامية ، ذلك إن العامية لا يمكن أن تكون قسيماً لغوياً للفصحى.(٢)

ثم يشير إلى فشل العامية للإيفاء بمتطلبات التعبير إذ يقول : فأنت لا تجد في الأنماط العامية أدباً يفي كثيراً بالأغراض ، التي تفي بها اللغة الفصحى ثم الفصيحة ، ونهات تقر فيما تفتقر إليه كثير من صفات العربية الفصيحة ، وأنها تخضع لنمطٍ خاص من التطور ليس ايجابياً في كثير من أحواله.

---

١) ينظر : مشكلات لغوية في إعداد البرنامج الإذاعي وتنفيذه ، محمد الجادر ، مجلة الضاد ، ج٤ ، تموز ١٩٩٠ :٤٩

٢) ينظر : اللغة والحياة إبراهيم السامرائي ، مجلة المعلم الجديد ، ج١ ، م٢٦، س١٩٧٤ : ١٤ .

إن موقفه التربوي في هذا الجانب يتجلى بوضوح عندما انتقد كل فكرة يُراد منها الترويج للعامية بحجة أو بأخرى. فهو يرى : إن العامية وسيلة ناقصة إذا أريد منها أن تفي بحاجات العصر.(١)

وهو لا يخفي قدسية اللغة العربية من خلال إعجابه بلغة القرآن. إذ يقول : والعربية ممثلة في القرآن لغة عالمية سلخت من تاريخها مراحل طويلة ، حتى انتهت إلى هذا الشكل من الكمال ، والبحث في تاريخ القرآن يُدلنا على أن لغة القرآن ، قد طبعت العربية بطابع واضح مبين ، وقضت بذلك على آثار اللهجات الإقليمية.(٢)

ويرى : إن من وسائل تطور العربية ، وسلامتها. ولكي نوفر المصطلحات الجديدة ، التي تفي متطلبات العصر علينا : أن نكفل سلامة اللغة باستعمال الفصيحة ، وعدم اللجوء إلى العامية. (٣)

وانتقد السامرائي استخدام العامية في التعلم ، إلا انه وجد عذراً للمعلمين ، والمدرسين عندما أشار إلى استعمال هذا الاستخدام. وقام به العاملون في التربية ، والتعليم ، وحينئذ نراه قد شدد على التحدث بالفصيحة. وطالب مدرسي غير العربية كذلك الالتزام بهذا الطلب ، وسماه (رحمه الله) (القيد) فقال : إن المدرس في التعليم العالي ، والثانوي ، والمعلم الابتدائي يعرب عن نفسه بعامية لا ترتفع عن أمية الشارع أو البيت ، ولا أريد أن انحي باللائمة على مدرسي اللغة العربية وحدهم ذلك إن مسؤولية الحفاظ على اللغة العربية تخص سائر العاملين في التعليم ، والتدريس ، غير أننا قد استقر في أذهاننا إن ذلك من اختصاص مدرسي اللغة العربية .

---

١) ينظر : اللغة والحياة ، إبراهيم السامرائي ، مجلة المعلم الجديد ج١ ، م٢٦ ، س١٩٧٤ : ١٤ .

٢) ينظر : صفحة اللغة ، إبراهيم السامرائي ، مجلة المعلم الجديد ج٢ ، م٣٥ ، س١٩٧٤ : ٦٠ .

٣) ينظر : الدخيل في الثقافة العربية ، إبراهيم السامرائي ، مجلة المعلم الجيد ، ج٨ و ٩ ، م٢٢ ، س١٩٥٩ : ٢٦ .

وبذلك يُعفى مدرسو التاريخ والجغرافية ، وسائر اللوم الأخرى أنفسهم من الالتزام بهذا (القيد) أقول : القيد لأنه بحق (قيد) لا يستطيعون أن يتخففوا من ثقله. [١]

ثم يعرج على تاريخ اللغة العربية في بلادنا العراق ، لكي يعي جيل القرن العشرين وما سيليه مكانة هذه اللغة ، ونقرأ . لأول وهلة . فيما كتبه أنه أسف على ما آلت إليه أحوال هذه اللغة فيقول : إن العربية غريبة في هذا البلد الأمين ، ومعنى ذلك أنها غريبة في بلدها ،

ومهدها... وكان فيه للبصرة ، والكوفة ، وبغداد مقامٌ أيُّ مقام في الدراسات العربية ، فقد أُصِلَّت في هذا البلد ، وتفرعت ، ودُرِست ، وصنف فيها من المصنفات ما بقي مفخرة للأجيال.

---

١) ينظر : ما حقيقة تقويم اللسان ؟ إبراهيم السامرائي ، مجلة المعلم الجديد ، ج١ و ٢ ، م٢٤ ، س١٩٧٢ : ١١٨ .

رابعاً : المناهج التعليمية

شخّص السامرائي الخلل في تدريس اللغة العربية. وردّ ذلك إلى : عدم تهيئة المدرسين ، والمعلمين التهيئة الفنية المطلوبة ، وهو بهذا ينطلق من مفهوم : إن التعليم (علم وفن) ، وفي ظل هذا صعبت عليهم لغتهم ، وسادت عامية محلية ذات طابع إقليمي.(١)

وتطرق إلى ترسيخ تعليم اللغات ،وأستمراريتها في أذهان متعلميها فقال : واللغة دربة ، ووعي ، فأن عدمنا الدربة ، والوعي ، بموادها ، وأسرارها ، فقدناها. (٢)

ولمعالجة هذا الخلل ، يرى أن تدُرس العربية درساً جديداً وعلى وفق الآتي : لا بدّ أن تدُرس العربية درساَ جديداَ ، تكون فيه اللغة وحدة لا فرق بين رسمها ، والنطق بها ، وكتابتها تحريراً ، والإعراب بها مخاطبة ، ومحاضرة. وبذلك يتأتى لنا منها زادٌ كافٍ.

إن مناهج تعلم اللغة العربية هي موضع نقد من قبل الدكتور السامرائي ، ووجه لومه إلى الجهات المعنية بها ، وينطلق في هذا المجال من تجربة ميدانية ، وخبرة تعليمية أهلته أن يقول : أن يكون الكتاب المدرسي لتعليم اللغة العربية واحداً ؛ يجمع بين دفتيه مادة (المطالعة) ودُربة وتمرين على ما يسمى

التعبير أو الإنشاء ، وهو إلى جانب ذلك نصوص مختارة يشار فيها – متعمدين قاصدين – إلى مواد نحوية مما يكون الأصل في بناء الجملة العربية تركيباً ، وصرفاً ، ونحواً. [٣]

وفصّل القول في وجهة نظره هذه عن مناهج اللغة العربية ، بقوله : وهذا القدر من المواد اللغوية من حيث المعجم ، والصرف ، والنحو ، والتعبير ، ومعرفة شيء من عيون النصوص ، وطريقة الفهم فيها. كل هذا يكون في الكتب المدرسية ، وتكون جملة الكتب المدرسية مستوعبة لمواد العربية مما يخص للدراسة الابتدائية أو لما يلي ذلك من الدراسة الإعدادية ، والدراسة الثانوية.

---

١) ينظر : ما حقيقة تقويم اللسان ؟ الدكتور إبراهيم السامرائي، مجلة المعلم الجديد ، ج١ و٢ ، م٢٤ ، س١٩٧٢ :١١٨

٢) ينظر : عودٌ إلى سلامة اللغة العربية ، إبراهيم السامرائي، مجلة المعلم الجديد، ج١ ، م٤٠ ، س١٩٧٨ :١٥ .

٣) م . ن .

ونبّه السامرائي المهتمين بالتربية ، والتعليم إلى أهمية هذه الطريقة ، التي جرى عليها من تقدم علينا في فن التأليف ، والتدريس ، وشؤون التربية بوجه عام. ودعا صراحة إلى اعتماد هذه الطريقة عندما قال : فهل ترانا جربنا شيئاً من هذا المنهج ؟ (١)

وانتقد السامرائي الكتب المدرسية التي سادت المراحل الدراسية لتعلم اللغة العربية فقال : إن كتبنا المدرسية لا تعينُ التلميذ ، والطالب على أن يكون له زاد كاف يستخدمه تعبيراً ، وتحريراً. ويتفهم من خلاله العربية أسلوباً ، وجمالاً ، وإبداعاً ، وإصابة في المعنى ، وإحكاماً لدقائق الفكر. (٢)

وأغرب بصراحته المعهودة عن رأيه في الكتب المدرسية ووصل إلى نتيجة قيّمة فقال: لقد كان لي أن درّست طائفة من الكتب المدرسية في النحو ، والمطالعة ، والأدب ، والبلاغة. فما رأيت : إن هذه الأشتات المتنافرة تخدم معرفة ، وذوقاً ، وعصمة لسان.

وكان نقده لاذعاً عندما وصفها : أنها أشتات مجموعة ، لا تؤلف بينها صلة من علم ، ووحدة من موضوع ، وإحراز للغة بوجه عام. (٣)

ولم يتردد السامرائي عن الإفصاح عن تجارب الأمم في الغرب ، وغيرها ممن عرفوا العلم ، وقدروه في تعليم اللغة ، ودعا إلى العمل مثلهم ، مع أهمية استلهام التراث. فقال : هذه الطريقة ، التي

أشرت إليها في التوفر على كتاب جامع لأشتات من موضوعات فيها : التعبير ، والبناء والرسم ، والأدب ، والنحو ، والنقد. تجربة جديدة جرى عليها أهل الغرب ، وغيرهم من أمم الله ممن عرفوا العلم. وجرينا عليها نحن العرب في سابق من العصور فكان لنا كتاب (الكامل) للمبرد ، وكتاب الأمالي لأبي علي القالي ، وجمهرة من كتب ابن قتيبه ، وغيرهم من الميامين ، ذوي القدر العلي في الدراسات اللغوية التاريخية. (٤)

---

١) ينظر : عود إلى سلامة اللغة العربية، إبراهيم السامرائي، مجلة المعلم الجديد ، ج١ ، م٤٠ ، س١٩٧٨ : ١٤ .

٢) ينظر : سلامة اللغة العربية ، إبراهيم السامرائي ، مجلة المعلم الجديد، ج٢ ، م٣٩، س١٩٧٨ : ١٨ .

٣) م . ن .

٤) م . ن .

خامساً : إعداد المعلم

وعزا فشل المعلم في عمله إلى قصور الإعداد الفني لمدرسي ، ومعلمي اللغة العربية ، إذ أفصح عن هذه المشكلة ، التي ما زالت قائمة إلى يومنا هذا فقال : إن المدرس والمعلم لم تُعدَّ الإعداد الفني ، فلم يعرف ، كيف تعلم اللغة؟ ولم يفد القائمون على عملية التعلم من تجارب الأمم المتقدمة في معرفة الطرائق الفنية الحديثة ، مما بنى على منجزات العلم الحديث كالوسائل السمعية ، والبصرية.

سادساً : الوسائل التعليمية

يجد المتتبع لتاريخ التعليم بيسر التطور الهائل الذي شهده هذا القطاع، ومن بينه (الوسائل التعليمية) فقد وردت لها تسميات كثيرة بسبب تعدد واختلاف وجهات النظر ، وفلسفات التربويين، الذين صدرت عنهم ، فهي تارة (الوسائل البصرية ، والتعليم البصري ، والوسائل البصرية الحسية ، وهي أيضاً الوسائل السمعية ، والتعليم السمعي . والوسائل السمعية الحسية ، والوسائل التعليمية السمعية والبصرية ، والوسائل التعليمية ، والوسائل المعينة والوسائل المعينة على التدريس . والوسائل المعينة على الإدراك ، والمعينات الإدراكية ، ووسائل الإيضاح السمعية والبصرية) .

ومهما بدا الاختلاف واضحاً ، ومتشعباً لأختلاف مفاهيم الباحثين عن الوظائف ، التي تؤديها هذه الوسائل في مجال التربية والتعليم . فإنها نكاد تكون متقاربة المعنى والهدف . فهي الأدوات والطرق المختلفة

التي تستخدم في المواقف التعليمية ، ولا تعتمد كلية على فهم الكلمات ، والرمــوز والأرقام . (١) ، وهي ليست جديدة في مجال التربية والتعليم اذ أن فكرة استخدامها، ترجع الى أقدم العصور السومرية والإغريقية والمصرية (٢) يوم استعانوا بالرحلة، والرسوم، والإشكال التصويرية،التوضيحية والأحجار ، والفخار ، والكتابة، والرسم على الجدران والصخور وجلود الحيوانات ، وأوراق البردي كوسائل للتعليم . (٣)

وهذا الاستخدام للوسائل التعليمة يكشف ، أن الإنسان منذ زمن طويل قد التفت إلى أهمية الحواس في عمليات الإدراك والتعليم ، والى أهمية التعليم الحسي ، واستخدام الطرائق ، والأساليب التي تعتمد على الحواس المختلفة . (٤) وأثبتت البحوث التربوية (٥) .

١) ينظر : الوسائل التعليمية والمنهج ، د. أحمد خير كاظم ، و د. جابر عبد الحميد جابر : ٢٨ .

٢) ينظر : م . ن : ٣٤ .

٣) ينظر : م . ن .

٤) ينظر : الوسائل التعليمية ، إبراهيم مطاوع : ٤ .

٥) ينظر : تعليم اللغة العربية ، حسن سلمان قورة : ٢٩٧ .

أن الوسائل التعليمية إذا استخدمت استخداماً صحيحاً ، ودقيقاً فإنها تعاون التلاميذ على تكوين مدركات صحيحة ، وجذب وتركيز انباههم ، وزيادة تشوقهم ، وإقبالهم على الدرس بشغف لما، فيها من حيوية وواقعية ، وزيادة مضاعفة فاعليتهم ، وايجابيتهم خلال الدرس ، والإسراع في عملية التعلم وتوفير وقت كل من المعلم والمتعلم ، وإكسابهم خبرات أعمق ، وأبقى اثراً ، وتوفير الكثير من الجهد للمعلم والمتعلم ، وزيادة ترابط الأفكار والخبرات ..... الخ (١) .

إن معرفة قيمة، وعلمية، وفاعلية الوسائل التعليمية ، التي سبق ذكرها لبست غائبة عن السامرائي المعلم ، والمدرس ، والأستاذ الجامعي فراح يؤكد استخدامها متى سنحت الفرصة للتحدث عن التعليم والمعلم . وهنا يقف السامرائي تربوياً ناجحاً ذا خبرة طويلة في التعليم ، ليحث المعلمين ، والمدرسين على الإمساك بحلقة مهمة من حلقات التعليم ، وهي الوسيلة التعليمية ، وتأثيراتها في تشويق التلاميذ ، وترسيخ المدة العلمية في عقولهم ، وتقريبها إليها.ثم يقارن بين تعلم لغتين هما العربية والانكليزية ، ونجاحه في الثانية ، وإخفاقه في الأولى ، ويعزى أسباب ذلك إلى الاستخدام

الأمثل للوسائل التعليمية ، وعدَّ الأمر غريباً فاستفهم قائلاً : أليس من الغريب ، الذي لا يمكن احتماله أن نفرض على الطفل الصغير ، أن يأخذ النحو بأساليب قديمة غير صحيحة ، قال بها القدامى فأضافوها إلى عملهم الصحيح فكانت من الإضافات السيئة؟ وذكر مثالاً لهذا التعلم السيئ ، غير الصحيح ، فقال : إن الطفل الصغير ، لا بد أن يقول في الفعل المستقبل (يكتب) مرفوع ، ولم يكتف بهذا. فلا بد أن يحمله المعلم على أن يكمل الجواب. فيقول : (لتجرده عن الناصب والجازم). وهو لا يفهم هذه العبارة. ولكننا فرضنا عليه أن يعلل الأحكام ، ويدخل في الأوهام فيقول: (بالحقيقة ، وسببها. وليس من العلم أنْ نحمله أنْ يردد العبارة المشار إليها ، وهو لا يفهمها. وهي ليست من العلم...)

وفي الختام يبقى الدكتور السامرائي – رحمه الله – خالداً لما قدمه للعربية من جهود هي موضع اعتزاز عشاقها. ومشروعاً للبحث في تراثه الثر.

---

١) ينظر : تعليم اللغة العربية ، مرجع سابق : ٢٩٨ ، والوسائل التعليمية والبصرية محمد يوسف الديب : ٢٦ .

الخاتمة

اخذ رواد الدراسات اللغوية في بلادنا زمام المبادرة لوضع الأمور في نصابها من اجل بدايات قوية ومتينة لمعالجة الخلل في اللغة والتربية والتعليم وجاءت هذه المبادرات من قبل أوائل الباحثين الذين وقفوا على مكامن الداء فكانت آراؤهم دقيقة وصريحة ومن بين هؤلاء أ.د. إبراهيم السامرائي الذي مارس التعليم الابتدائي والثانوي والجامعي حتى وفاته وفي أدناه أهم استنتاجاتنا عن أرائه التربوية التي تناولها وهي :

١- إن الدرس اللغوي الجيد ينوء به المعلم المُعد إعداداً سليماً تربوياً وعلمياً .

٢- الالتزام بالعربية الفصيحة في التعليم ، والابتعاد عن العامية والأمر غير محصور بمعلمي اللغة العربية فحسب .

٣- إن للتقنيات التربوية تأثير مهم في العمل التربوي وليس من الصحيح العزوف عن استخدامها وفي مراحل التعليم كافة .

٤- الاهتداء بالأنظمة التربوية في بلدان سبقتنا في تطورها .

٥- أن يقدم المعلم مادة لغوية للتلاميذ بيُسر، والابتعاد عما لا يحتاجه المتعلمون وظيفياً من موضوعات نحوية وصرفية .

٦- أن تُقدم المادة النحوية من خلال طريقة النص التي يرى السامرائي نجاحها على غرار ما كان التعليم عليه قديماً .

٧- التركيز على النشاطات اللغوية بين الطلبة كحفظ النصوص والخطابة والتمثيل والمحادثة .

٨- إن خبرة السامرائي ومراسه التعليمي والتربوي أهلته لإبداء رأيه في مجالات تربوية متعددة أفصحت عن تجارب ميدانية .

ومن الله التوفيق

المراجع

- إحياء النحو، إبراهيم مصطفى، دار الآفاق العربية، القاهرة ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م .

- تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي)، د. شوقي ضيف، دار المعارف (د . ت) .

- تعليم اللغة العربية، حسن سلمان قورة، دار المعارف بمصر ١٩٧٢ م .

- تيسير النحو التعليمي، قديماً وحديثاً، مع منهج تحديثه .

- حديث السنين، د. إبراهيم السامرائي، (سيرة ذاتية)، دار البيارق، بيروت ودار عمار، عمان ط١ / ١٩٩٨ م.

- الرماني النحوي في ضوء شرح كتاب سيبويه، الدكتور مازن مبارك، مطبعة جامعة دمشق، ١٩٩٣ م.

- فوات ما فات من حديث السنين د. إبراهيم السامرائي، (سيرة ذاتية)، الأردن، عمان ط١ / ٢٠٠٠ م.

- معجم الأدباء، ياقوت الحموي، دار الكتب العلمية، لبنان بيروت، ط١ ١٩٩١ م.

- نحو التيسير، دراسة، ونقد منهج، د. عبد الستار الجواري، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٩٨٤ م.

- النحو العربي، نقد، وبناء، د. إبراهيم السامرائي، دار الصادق، بيروت ١٩٦٨ م.

- نحو لغة عربية سليمة، وزارة الثقافة والفنون، دار الحرية، بغداد ١٩٧٨ م .

- نزهة الأبعاد في طبقات الأدباء، أبو البركات الأنباري، تح : د. إبراهيم السامرائي، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٥٩ م.

- الوسائل التعليمية، إبراهيم مطاوع، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٧١ م .

– الوسائل التعليمية، والبصرية، محمد يوسف الديب، دار المعارف بمصر، ١٩٦٤ م .

– الوسائل التعليمية، والمنهج، د. أحمد خير كاظم، و د. جابر عبد الحميد جابر، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٧٠ م .

المجلات :

– الدخيل في الثقافة العربية، د. إبراهيم السامرائي، مجلة المعلم الجديد، ج ٨ و ٩ م٢٢ س ١٩٥٩ م .

– صفحة في اللغة، د. إبراهيم السامرائي، مجلة المعلم الجديد ج٢ م ٣٥ س ١٩٧٤ م.

– عودة إلى سلامة اللغة د. إبراهيم السامرائي، مجلة المعلم الجديد ج١ م ٤٠ س ١٩٧٨ م.

– اللغة والحياة، د.إبراهيم السامرائي، مجلة المعلم الجديد ج١ م٢٦ س١٩٧٤ .

– اللغة ومنهاج الدرس، د. إبراهيم السامرائي، مجلة المعلم الجديد ج١ م٢٤ س١٩٦١ م.

– ما حقيقة تقويم اللسان ؟ د. إبراهيم السامرائي، مجلة المعلم الجديد ج١ و٢ م٢٤ س١٩٧٢ م

– مشكلات لغوية في إعداد البرنامج الإذاعي، وتنفيذه، محمود الجادر، مجلة الصفاد ج٤ / تموز/ ١٩٩٠ م.

المخطوطات :

– إبراهيم السامرائي، وجهوده في اللغة والتحقيق، علي حسن عبد الحسين، رسالة ماجستير، جامعة القادسية .

المقابلات :

– مقابلة السيد مصطفى السامرائي ، عميد أسرة (السوامرة) في مدينة العمارة بتاريخ ٢٠١٠/١/١٥ م.